الإيجاز والبيان

في

الإعجاز العلمي للقرآن

للداعية:

أ/ سمير بن حسن المنة

١٤٤٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، فيه آياتٌ بيِّناتٌ تهدي للتي هي أقوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الأولى والآخرة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله الخالد، المعجزة العظمى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، تحدّى به العرب والعجم، العلماء والحكماء، فلم يستطيعوا أن يأتوا بسورةٍ من مثله. ومِن أعظم وجوه إعجازه: الإعجاز العلمي، الذي يُظهر أن هذا الكتاب ليس من كلام البشر، بل هو كلام الخالق العليم بخلقه.

وقد تتابع الباحثون والمفسرون على تأمل آيات القرآن في ضوء ما اكتشفه العلم الحديث، فظهر من ذلك ما يدهش العقول، ويثبت أن هذا الكتاب قد سبق البشرية في الإخبار عن دقائق علمية لم تُعرف إلا في القرون الأخيرة، مما يزيد المؤمن إيمانًا، ويهدي الحائر الباحث عن الحق.

وقد رغبت في جمع مختصر نافع، أُقدِّم فيه نماذج واضحة من هذا الإعجاز العلمي، في خلق الإنسان، والكون، والأرض، والبحار، بأسلوب سهل، ومادة موثوقة، مقرونة بضوابط شرعية، تحفظ مكانة القرآن، وتحذر من التكلّف والغلو في هذا الباب.

سائلاً المولى سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ونافعًا للخلق، وأن يجعله شاهدًا لي لا عليّ، إنه جواد كريم.

كتبه الداعية: سمير بن حسن المنة

في يوم الجمعة الرابع من شهر ذو القعدة لعام ١٤٤٦ هجري

الفصل الأول: الإعجاز العلمي في خلق الإنسان

من أعظم ما دلّ على أن القرآن الكريم من عند الله: ما جاء فيه من حقائق علمية دقيقة عن خلق الإنسان، سبق بها العلم الحديث بقرون طويلة. وقد تحدّثت آيات القرآن عن مراحل الخلق البشري بدقة مدهشة، توافق ما أثبته الطب وعلم الأجنة في هذا العصر.

قال الله تعالى:

"ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" [المؤمنون: ١٢-١٤].

تتحدث هذه الآيات عن خمس مراحل في خلق الجنين:

١. النطفة: وهي السائل المنوي المختلط ببويضة المرأة، وتتم في "قرار مكين" أي في الرحم، وهو ما يشير إلى البيئة الآمنة المحاطة بجدار عضلي وغشاء واقٍ.

٢. العلقة: وهي المرحلة التي يلتصق فيها الجنين بجدار الرحم، ويأخذ شكلاً يشبه العلقة التي تعيش في الماء وتمتص الدم. وقد ثبت أن الجنين في هذه المرحلة يُشبه بالفعل شكل دودة العلقة.

٣. المضغة: وهي قطعة صغيرة من اللحم بحجم اللقمة، ويأخذ فيها الجنين شكلًا مميزًا كالممضوغ.

٤. العظام: تتشكل العظام داخل هذا الجسد الصغير.

٥. كسوة العظام لحمًا: حيث تُكسى العظام بالعضلات والجلد، وهو ما ثبت طبياً أن العضلات تتشكل بعد العظام.

ثم تأتي الإشارة إلى المرحلة الفارقة: "ثم أنشأناه خلقًا آخر"، والتي تشير إلى نفخ الروح وبداية الحياة الإنسانية المستقلة.

هذه الدقة في توصيف المراحل، والتسلسل الزمني، أمر لم يُكتشف إلا مؤخرًا باستخدام المجاهر والتقنيات الحديثة. فكيف لمحمد صلى الله عليه وسلم، النبي الأمي، قبل ١٤٠٠ عام، أن يصف هذه التفاصيل؟! إنها الحجة البالغة، والدليل الساطع، أن هذا القرآن من عند الله العليم الخبير.

الفصل الثاني: الإعجاز العلمي في خلق الجبال

من وجوه الإعجاز العلمي التي لفت إليها القرآن الكريم، ما يتعلق بوظيفة الجبال في تثبيت الأرض. وقد جاء ذكر هذه الحقيقة في آيات عديدة، بأسلوب بياني معجز سبق به الاكتشافات الجيولوجية الحديثة.

قال الله تعالى:

"ألم نجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا" [النبأ: ٦-٧].

وفي آية أخرى قال سبحانه:

"وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم" [النحل: ١٥].

ففي هاتين الآيتين دلالة واضحة على أن الجبال ليست مجرد تَكَتُّلات صخرية شاهقة، بل لها دور في حفظ توازن الأرض ومنع اضطرابها، وهو ما بيّنه العلم الحديث حين اكتشف أن للجبال جذورًا عميقة تغوص في باطن الأرض، تشبه الوتد المغروس في التربة.

وقد ثبت في علم الجيولوجيا أن القشرة الأرضية مكونة من صفائح تَطْفُو على طبقة لزجة من باطن الأرض، وأن هذه الصفائح قابلة للحركة، مما

قد يؤدي إلى الزلازل والانهيارات. وهنا يأتي دور الجبال التي تعمل على تثبيت هذه الصفائح والحدّ من حركتها العشوائية، تمامًا كما يثبّت الوتد الخيمة.

وقد عجز الإنسان على مر العصور عن معرفة هذه الحقيقة، ولم يتمكن العلماء من تصور جذور الجبال العميقة إلا باستخدام تقنيات حديثة متطورة. فهل كان في مقدور رجل أمي في صحراء العرب أن يُخبر بهذه الحقيقة العظيمة لولا أن الله تعالى علّمه؟

إنها شهادة جديدة تنضمّ إلى سجل الإعجاز العلمي في القرآن، تُظهر صدقه، وتُثبت أنه كلام من خلق الأرض والجبال، العليم الخبير.

الفصل الثالث: الإعجاز العلمي في علم البحار

لقد نزل القرآن الكريم في بيئة صحراوية، بعيدة كل البعد عن البحار وأسرارها، ومع ذلك فقد احتوى على آياتٍ عظيمة تشير إلى حقائق علمية دقيقة لم تُكتشف إلا بعد قرون من البحث والاستكشاف، مما يدل على أن هذا العلم وحيٌ من الله العليم الخبير.

قال الله تعالى:

"مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان" [الرحمن: ١٩-٢٠].

وقال تعالى:

"وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخًا وحِجْرًا محجورًا" [الفرقان: ٥٣].

تشير هذه الآيات إلى ظاهرة التقاء المياه العذبة والمالحة في مناطق المصبّات، مثل مصب الأنهار في البحار، حيث تلتقي مياه النهر العذبة بمياه البحر المالحة، ومع ذلك لا تختلط اختلاطًا تامًّا، بل يوجد بينهما حاجز مائي (برزخ) يحافظ على خصائص كل نوع من الماء.

وقد أثبت العلم الحديث هذه الظاهرة، حيث اكتشف العلماء باستخدام أجهزة دقيقة أن هناك منطقة فاصلة بين المياه العذبة والمالحة، تختلف من حيث الكثافة والملوحة ودرجة الحرارة، وتمنع المزج الكامل بينهما، مع وجود تبادل محدود ومنظم. وهذا ما وصفه القرآن بـ "برزخ لا يبغيان"، أي لا يتعدى أحدهما على الآخر.

ومن العجائب أيضًا، ما أشار إليه القرآن عن ظلمات البحار العميقة، في قوله تعالى:

"أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها" [النور: ٤٠].

وهذه الآية تصف ظلمات البحر العميق التي لم يكن يمكن للبشر مشاهدتها إلا بالغوص العميق في العصر الحديث، وقد وُجد فعلاً أن في أعماق البحار طبقات من الظلمة يسببها تراكم الأمواج والتيارات المختلفة، بالإضافة إلى حجب الضوء عن الأعماق، وهو ما يطابق وصف القرآن بدقة مدهشة.

فسبحان من أنزل هذا الكتاب المعجز، وسبق به علوم الأرض والبحار، ليكون آية للعالمين، ودليلاً على أن القرآن من عند الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الفصل الرابع: الإعجاز العلمي في السماء والفضاء

إن القرآن الكريم أشار إلى أسرار عظيمة تتعلق بالسماء والكون، لم يكن للبشر من سبيل إلى معرفتها وقت نزول الوحي، بل لم تُعرف إلا بعد تطور علم الفلك والمراصد الفضائية، مما يدل على أن هذا الكتاب العظيم نزل من عند من أحاط بكل شيء علمًا.

قال الله تعالى:

"والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون" [الذاريات: ٤٧].

في هذه الآية إشارة صريحة إلى اتساع الكون، وهو ما أثبته العلم في العصر الحديث، حيث تبيّن للعلماء أن المجرات تبتعد عن بعضها البعض بسرعة هائلة، وأن الكون في حالة تمدد مستمر، وهي حقيقة عُرفت باسم "نظرية التوسع الكوني"، والتي لم تُكتشف إلا في القرن العشرين، بينما أشار إليها القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا.

وقال الله تعالى:

"وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا وهم عن آياتها معرضون" [الأنبياء: ٣٢].

هذه الآية تشير إلى أن السماء تحفظ الأرض من أخطار كثيرة، وقد اكتشف العلماء أن الغلاف الجوي المحيط بالأرض يعمل كدرع واقٍ يحميها من الأشعة الضارة والنيازك الصغيرة، ويحتفظ بدرجة حرارة مناسبة للحياة، وينقّي الهواء، ويحفظ توازن الضغط والغازات. وهذا كله داخل ما سماه الله بـ"السماء المحفوظة".

وفي موضع آخر قال تعالى:

"فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم" [الواقعة: ٧٥-٧٦].

وقد دلّت الدراسات الفلكية على أن الضوء الصادر من النجوم يستغرق سنوات ضوئية طويلة ليصل إلى الأرض، أي أن ما نراه هو "موقع" النجم في السماء، وليس النجم نفسه في مكانه الحالي، إذ يكون قد تحرك أو مات أو انفجر. وهو ما عبّرت عنه الآية بـ"مواقع النجوم"، لا "النجوم" نفسها، وهو دقة لغوية وعلمية معجزة.

هذه الآيات وغيرها تفتح لنا بابًا للتأمل في عظمة الخالق، وأن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عند بشر، بل هو من عند خالق السماوات والأرض، العليم بما كان وما يكون.

الفصل الخامس: الإعجاز العلمي في الماء

الماء سر الحياة، وأساس كل شيء حي، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة العظيمة في آيات متعددة، بيّنت أهمية الماء وارتباطه المباشر بالحياة، بل وذكرت بعض خصائصه العلمية الدقيقة التي لم تُكتشف إلا في الأزمنة المتأخرة.

قال الله تعالى:

"وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون" [الأنبياء: ٣٠].

هذه الآية من أبلغ الآيات في الدلالة على ضرورة الماء للحياة، وهي حقيقة علمية لا يُنكرها أحد اليوم؛ فكل كائن حي – نباتًا كان أو حيوانًا أو إنسانًا - يحتاج إلى الماء ليعيش، بل تُشكل المياه النسبة الكبرى من مكونات أجسام الكائنات الحية، فالإنسان مثلًا يحتوي جسمه على نحو ٧٠% من الماء.

وقال الله تعالى:

"وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون" [المؤمنون: ١٨].

في هذه الآية إشارة إلى أن الماء يُنزّل بقدرٍ معلوم، وليس عبثًا، وهذا ما أثبته العلم بأن دورة الماء في الطبيعة تسير وفق نظام دقيق: التبخر، ثم

التكاثف، ثم النزول في شكل مطر، ثم الجريان أو التسرب في الأرض، ثم العودة بالتبخر مرة أخرى. وهذا كله تحت تقدير محكم لا يختل.

كما قال تعالى:

"الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا فترى الودق يخرج من خلاله" [الروم: ٤٨].

وهذا توصيف دقيق لآلية نزول المطر؛ فالرياح تثير السحب، ثم تتجمع السحب المتفرقة، ثم تُكوَّن منها سحابة كبيرة، ثم ينزل المطر من داخلها، وهو ما وصفه القرآن بقوله: "الودق يخرج من خلاله". وقد شاهد العلماء هذه المراحل باستخدام الأقمار الصناعية والرادارات الجوية.

فكيف لمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي نشأ في بيئة صحراوية، أن يصف هذه الظواهر بدقة متناهية توافق العلم الحديث؟! إنه بلا شك وحي من الله، الذي أنزل القرآن، وهو أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير.

الفصل السادس: الإعجاز العلمي في النبات

النبات من أعظم آيات الله في الأرض، وقد تحدّث القرآن الكريم عن نشأته ونموّه وأهميته للإنسان والحيوان، في إشارات علمية دقيقة، توافق ما توصل إليه العلم الحديث من حقائق مدهشة حول عالم النبات.

قال الله تعالى:

"والله أنبتكم من الأرض نباتًا" [نوح: ١٧].

في هذه الآية تشبيه بديع للإنسان بالنبات، من حيث النشأة من الأرض والاعتماد على مكوناتها، وهو ما أكده العلم الحديث، إذ إن مكونات جسم الإنسان متوافقة تمامًا مع عناصر التربة: الكربون، الأكسجين، الهيدروجين، الحديد، الكالسيوم، وغيرها. فكأن الإنسان - في خلقه وتكوينه - امتداد لما تُخرجه الأرض.

وقال تعالى:

"ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها" [فاطر: ٢٧].

تشير الآية إلى أثر الماء في إنبات الثمار، وتنوّع ألوانها واختلاف أشكالها وطعومها رغم اشتراكها في المصدر: الماء والتربة. وقد أثبت العلم أن هذا التنوّع يعود إلى اختلاف الجينات داخل النباتات، وهي معجزة بيئية ووراثية تشير إلى عظمة الخالق، الذي يُخرج من الأرض نباتات متنوعة من تربة واحدة وماء واحد.

وقال الله تعالى:

"فأنبتنا فيها حبًا * وعنبا وقضبًا * وزيتونًا ونخلًا * وحدائق غُلبًا * وفاكهة وأبًّا * متاعًا لكم ولأنعامكم" [عبس: ٢٧–٣٢].

هذه الآيات اشتملت على أنواع متعددة من النباتات، بعضها للإنسان كالعنب والزيتون والفاكهة، وبعضها للدواب كالأبّ (الكلأ والعشب). وقد دلّ هذا التصنيف على معرفة دقيقة بحاجة المخلوقات المختلفة، وهو ما لم يكن في مقدور أحد معرفته بذلك التفصيل الدقيق في ذلك الزمان.

كما أن في النبات ظاهرة التمثيل الضوئي، وهي من أعظم العمليات الحيوية في الكون، يتم فيها امتصاص ثاني أكسيد الكربون وإنتاج الأوكسجين، وهي أساس بقاء الحياة، ولم تُعرف إلا بعد تطور العلم، بينما أشار إليها القرآن ضِمنًا في آيات عدة مثل قوله:

"والنجم والشجر يسجدان" [الرحمن: ٦]، والسجود هنا خضوعٌ لأمر الله في القيام بوظائفها، ومنها إنتاج الغذاء وتنقية الهواء.

فسبحان من هذا خلقه، وسبحان من وصفه في كتابه العظيم، لتبقى آيات النبات شاهدًا جديدًا على الإعجاز العلمي في القرآن، ودليلاً على عظمة الخالق وتفرده بالعلم والقدرة.

الفصل السابع: الإعجاز العلمي في الحواس والدماغ

قال الله تعالى:

"والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" [النحل: ٧٨].

يُظهر هذا النص القرآني ترتيبًا دقيقًا للحواس، يبدأ بالسمع، ثم البصر، ثم الفؤاد، وهو ما أثبته العلم الحديث؛ فحاسة السمع هي أول حاسة تعمل لدى الجنين في بطن أمه، بينما تتأخر حاسة البصر، ثم يكتمل نمو الفؤاد (الدماغ والشعور) تدريجيًا.

وقد أثبتت الأبحاث العصبية أن الأذن تلتقط الذبذبات الصوتية وتترجمها إلى إشارات عصبية تُرسل إلى الدماغ، وأن الدماغ يتلقى هذه الإشارات ويفسرها، بينما تبدأ العين لاحقًا في العمل عند تعرض الطفل للضوء بعد الولادة، مما يؤكد إعجاز الترتيب القرآني.

وقال تعالى:

"إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولًا" [الإسراء: ٣٦].

تُظهر الآية أن الحواس ليست مجرد أدوات إدراك، بل هي أدوات تكليف ومحاسبة، مما يدل على أن الله جعل لها وظيفة عقلية وأخلاقية، وقد توصّل العلم الحديث إلى أن الحواس مرتبطة بالمخ ارتباطًا معقدًا، وأن كل حاسة تؤثر في تشكيل السلوك، واتخاذ القرار، مما يجعل الإنسان مسؤولًا عن استخدامها.

وقد دلّت الدراسات على وجود علاقة قوية بين القلب (الفؤاد) والدماغ، حيث تبين أن القلب يرسل إشارات عصبية تؤثر في وظائف الدماغ مثل الانتباه والتعلُّم واتخاذ القرار، وهو ما يُعرف اليوم بـ"ذكاء القلب"، وقد سبقت إليه الإشارة القرآنية.

وهكذا نرى أن القرآن الكريم سبق العلم في وصف نشأة الحواس، ودورها، وترتيبها، وعلاقتها بالمسؤولية، لتكون هذه الإشارات من دلائل الإعجاز العلمي الذي يدل على أن هذا الكتاب من عند الله، العليم بكل خلقه، الحكيم في كل أمره.

الفصل الثامن: الإعجاز العلمي في الحديد

قال الله تعالى:

"وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس" [الحديد: ٢٥].

تُعد هذه الآية من أوجه الإعجاز العلمي العميق، فقد جاء فيها أن الحديد "أُنزل"، ولم يقل "خلقنا الحديد" أو "جعلنا الحديد"، واختيار لفظ "أنزلنا" له دلالات علمية مذهلة لم تُفهم إلا في العصر الحديث.

لقد أثبتت البحوث الفيزيائية والكونية أن عنصر الحديد لا يمكن أن يتكوّن داخل الأرض، لأنه يحتاج إلى طاقة تفوق قدرة الأرض على إنتاجها.
فدرجة الحرارة اللازمة لتكوين نواة ذرة الحديد تقدر بنحو مليار درجة

كلفن، وهي غير متوفرة حتى في باطن الأرض، وإنما توجد في النجوم العملاقة في مراحل انفجارها (المستعرات العظمى – Supernovae).

وعندما تنفجر تلك النجوم، تُقذف العناصر الثقيلة التي تشكّلت في باطنها – ومنها الحديد – إلى الفضاء، فينتشر هذا الحديد ويصل إلى الكواكب ومن ضمنها الأرض، ولذلك قال الله: "وأنزلنا الحديد".

وقد اكتشف العلماء أن الحديد ليس مجرد معدن قوي فحسب، بل له أدوار دقيقة في جسم الإنسان، فهو يدخل في تركيب الهيموغلوبين الذي ينقل الأوكسجين في الدم، وله دور في عمل الأنزيمات والخلايا، وأي نقص فيه يؤدي إلى أمراض خطيرة، مما يؤكد وصفه القرآني: "فيه بأس شديد ومنافع للناس".

كما أن الحديد هو أساس الصناعات الثقيلة، وأسلحة الدفاع، وبُنى العمران، فهو العنصر الذي قامت عليه الحضارات، ولا غنى للبشرية عنه، مما يجعل ذكره في القرآن بهذا الأسلوب إشارة إعجازية علمية وتشريعية في آنٍ واحد.

إن هذه الحقيقة الكونية لم تُعرف إلا مؤخرًا، وهي تؤكد أن القرآن الكريم لا يُمكن أن يكون من تأليف بشر، بل هو وحي من عند الله، الذي أحاط بكل شيء علمًا، وجعل من آياته دلائل على قدرته وحكمته.

الفصل التاسع: الإعجاز العلمي في الذبابة

قال الله تعالى:

"يا أيها الناس ضُرب مثلٌ فاستمعوا له: إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب" [الحج: ٧٣].

هذه الآية الكريمة تتحدى البشرية جمعاء في أمرٍ ظاهر البساطة، عظيم في دلالته: خلق ذبابة، أو استرجاع شيءٍ منها. ولقد كانت هذه الآية مجالًا للتأمل قرونًا، حتى جاءت الاكتشافات العلمية الحديثة لتكشف عن دقائق هذا الإعجاز.

الذبابة كائن صغير، لكن تركيبها غاية في التعقيد، فهي تمتلك جهاز طيران عالي الدقة، بجناحين رئيسيين وزوج من "الهالترات" يساعدها في التوازن، وهذا النظام لا يُرى بالعين المجردة، ويفوق في هندسته ما وصل إليه العلم في تقنيات الطيران.

أما تركيبها الداخلي، فمعقّد جدًا: تمتلك جهازًا عصبيًا دقيقًا، وعينين مركّبتين تتكوّن من آلاف العدسات، ولها قدرة على المناورة والهرب بسرعة فائقة. وقد أثبت العلم أن الذبابة تستشعر الحركة أسرع من الإنسان بأضعاف، وتُصدر استجابات عصبية في أجزاء من الثانية.

أما قوله تعالى: "وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه"، فقد كشف العلم أن الذبابة لا تمتص الطعام فقط، بل تُفرز عليه لعابًا يحتوي إنزيمات

تهضمه خارجيًا، ثم تمتصه بعد تحليله، فلا يعود كما كان، ولا يمكن استرجاعه، وهو ما عبّر عنه النص: "لا يستنقذوه منه".

وهذا ما لم يكن يُدركه بشر في زمن نزول الوحي، إذ لم تكن هناك مجاهر، ولا تحاليل دقيقة، ولا معرفة بآلية تغذية الحشرات، مما يُثبت أن هذه الآية تحمل إعجازًا علميًا سابقًا لعصره.

فالذبابة، رغم صغرها، هي آية عظيمة من آيات الله في الخلق، ودليل على عجز الخلق عن الإتيان بمثلها، فضلاً عن تحديهم باسترجاع ما أخذته، لتبقى الآية شاهدة على أن هذا القرآن من عند الله، العالم بسر الخلق وتفاصيله.

الفصل العاشر: الإعجاز العلمي في القلب والعقل

قال الله تعالى:

"أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" [الحج: ٤٦].

تشير هذه الآية إلى حقيقة مذهلة: أن العقل مرتبط بالقلب، وليس بالدماغ فقط كما كان يُعتقد لقرون. فقد بيّن القرآن أن الإنسان "يعقل" بقلبه، وبيّن أن العمى الحقيقي ليس عمى البصر، بل عمى البصيرة والقلب، مما أثار دهشة المفسرين والعلماء.

وفي العصر الحديث، كشف الطب أن القلب ليس مجرد مضخة دم، بل له شبكة عصبية معقّدة تحتوي على ما يُقارب ٤٠،٠٠٠ خلية عصبية تُشبه خلايا الدماغ، وتتفاعل مع الدماغ في الاتجاهين. وهذا ما يُعرف الآن بـ"دماغ القلب" أو Heart Brain، الذي يمكنه إرسال واستقبال الإشارات، ويؤثر على العاطفة واتخاذ القرار.

وقد ثبت علميًا أن القلب يؤثر على المراكز العليا في الدماغ، مثل مركز التفكير والانتباه، عبر إشارات عصبية وكهربائية وكيميائية. كما أن الإشارات التي يرسلها القلب إلى الدماغ تفوق عدد الإشارات التي يرسلها الدماغ إلى القلب، مما يدل على دور القلب النشط في وعي الإنسان وشعوره.

وهذا يفسّر الإعجاز في قول الله:

"فتكون لهم قلوب يعقلون بها"، فالعقل ليس حكرًا على الدماغ، بل تشترك فيه القلوب، خاصة في ما يتصل بالهداية، والتمييز بين الحق والباطل، وهو ما أكدته أيضًا السنّة النبوية:

"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" [رواه البخاري ومسلم].

وبذلك يتكامل العلم الحديث مع النصوص القرآنية في كشف سرٍّ من أسرار الإنسان، ويظهر الإعجاز العلمي في ربط القرآن بين القلب والعقل، وهو ارتباط لم يُفهم إلا مؤخرًا، ليدل دلالة واضحة على أن القرآن كلام الله، العالم بخفايا خلقه.

الفصل الحادي عشر: الإعجاز العلمي في البرق والرعد والمطر

قال الله تعالى:

"هو الذي يريكم البرق خوفًا وطمعًا وينشئ السحاب الثقال" [الرعد: ١٢]

وقال سبحانه:

"ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال" [الرعد: ١٣].

من مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ما يرتبط بظواهر الطقس الكبرى، مثل البرق والرعد والمطر، فقد جاءت آيات الكتاب ببيان دقيق يطابق ما توصّل إليه العلم الحديث.

أولًا: البرق، وهو شرارة كهربائية تحدث عند تفريغ شحنات في الغلاف الجوي، بسبب التقاء سحب موجبة وأخرى سالبة الشحنة. وقد أشار القرآن إلى وظيفتين للبرق:

"خوفًا وطمعًا"، خوفًا من الصواعق، وطمعًا في المطر، وهي حقيقة يعيشها الإنسان منذ القدم، ويؤكدها العلم من حيث ارتباط البرق المباشر بنزول المطر.

ثانيًا: الرعد، وهو الصوت الناتج عن التمدد السريع للهواء نتيجة حرارة البرق، وقد ورد في القرآن أن الرعد يُسبّح بحمد الله:

"ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته" [الرعد: ١٣]، وفي هذا إشارة إلى أن هذه الظواهر الكونية، رغم ظاهرها العنيف، هي مخلوقات خاضعة لله مسبّحة بحمده.

ثالثًا: السحاب الثقال، وهو ما يُعرف في علم الأرصاد بالسحب الركامية الثقيلة، المسببة للبرق والمطر، وقد وصفها القرآن بدقة:

"وينشئ السحاب الثقال"، أي التي تحمل كميات كبيرة من الماء، وتُحدث أمطارًا غزيرة، وقد ثبت أن وزن بعض السحب الركامية يتجاوز مئات آلاف الأطنان.

أما الصواعق، فهي ظاهرة مدمرة، تحدث نتيجة تفريغ كهربائي شديد، وقد أشار القرآن إلى أن الله يصيب بها من يشاء، مما يدل على دقة التوجيه الإلهي لها، وهو ما أثبته العلم مؤخرًا، إذ بيّن أن الصواعق ليست عشوائية بالكامل، بل تتبع مسارات محددة بسبب التوصيل الكهربائي في الجو والأرض.

فكل هذه الظواهر الكونية التي بيّنها القرآن قبل أربعة عشر قرنًا، لم تكن تُعرف تفاصيلها، ولم تُفهم أسبابها، لكنها جاءت في كتاب الله بوصف دقيق وإشارة إلى غاياتها، مما يدل على أنه كتاب نزل من عند عليم خبير.

الفصل الثاني عشر: الإعجاز العلمي في الرياح وتلقيح السحب

قال الله تعالى:

"وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين" [الحجر: ٢٢].

تشير هذه الآية إلى حقيقة علمية لم تُدرك إلا مؤخرًا، وهي أن الرياح تقوم بتلقيح السحب، مما يساعد على نزول المطر، تمامًا كما تلقّح الرياح الزهور والنباتات.

كلمة "لواقح" تشمل معنيين:

١. أنها تلقّح النباتات بنقل حبوب اللقاح، وهو ما عُرف قديمًا.

٢. أنها تلقّح السحب، وهي الحقيقة التي لم تُكتشف إلا في العصر الحديث، حيث ثبت أن الرياح تنقل جزيئات دقيقة من الأرض، مثل الغبار والأملاح، إلى طبقات الجو العليا، فتكون بمثابة نوى تكاثف يتجمع عليها بخار الماء، مما يؤدي إلى تكوّن قطرات المطر.

وقد ثبت في علم الأرصاد أن الغيوم لا تُمطر حتى تُلقّح بهذه الجسيمات الدقيقة، لأن بخار الماء وحده لا يمكن أن يتحول إلى ماء سائل إلا إذا وُجدت "نواة تكاثف"، وهذا هو عمل الرياح.

فجاء التعبير القرآني بكلمة واحدة جامعة:

"لواقح"، ليُجمل فيها إعجازًا علميًا دقيقًا، سبق كل المراصد والأبحاث.

ثم قال سبحانه:

"فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه"، وهي إشارة إلى أن الماء الذي نشربه نحن اليوم كان في الأصل من تلك العملية الدقيقة بين الرياح والسحاب، في دورةٍ معجزة لا يتدخل فيها بشر، ولا يقدر على ضبطها إلا الله وحده.

وختم الآية بقوله:

"وما أنتم له بخازنين"، أي لا تملكون خزنه في السماء أو حفظه أو إنزاله، بل أنتم محتاجون في كل لحظة إلى رحمة الله الذي يُرسل الرياح، ويُنزل الغيث، ويُحيي به الأرض بعد موتها.

وهكذا يكشف القرآن عن سرٍّ من أسرار المطر، لم يكن معروفًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، مما يدل دلالة يقينية على أنه وحيٌ من عند الله، خالق السحاب والرياح والماء.

الفصل الثالث عشر: الإعجاز العلمي في تكوُّن اللبن

قال الله تعالى:

"وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين" [النحل: ٦٦].

تُعد هذه الآية من أبلغ الآيات في الإعجاز العلمي، حيث وصفت بدقة شديدة عملية إنتاج اللبن في بطون الأنعام، وهي عملية معقدة لم تُكتشف تفاصيلها إلا في العصر الحديث.

فالله سبحانه وتعالى قال:

"من بين فرث ودم"، أي أن اللبن يتكوّن في موضعٍ متوسطٍ بين الجهاز الهضمي (الفرث) والجهاز الدوري (الدم). وهذا ما أثبته العلم، إذ إن اللبن يتكوّن في الغدد اللبنية التي تستخلص مكوناته من الدم، بعد أن يتم امتصاص المواد الغذائية من الأمعاء.

يأخذ الدم هذه المواد – من سكريات وبروتينات ودهون وأملاح – وينقلها إلى الغدد اللبنية، التي تقوم بتركيب اللبن، ثم إخراجه بشكلٍ خالصٍ نقي، كما قال الله:

"لبنًا خالصًا"، خاليًا من الدم أو الفضلات.

وقد ثبت أن اللبن لا يختلط لا بالدم ولا بالفرث، رغم مروره بينهما، وهذا من أعظم وجوه الإعجاز، إذ إن القرآن أشار إلى الموقع الدقيق لتكوّن اللبن، وعلاقته بالدم والجهاز الهضمي، في زمنٍ لم يكن فيه مجهر أو تحليل.

ثم وصفه بأنه:

"سائغًا للشاربين"، أي سهل الشرب مستساغ الطعم، وهي حقيقة حسية يدركها كل إنسان، وقد تبين أن اللبن يحتوي على مكونات مثالية للغذاء، من البروتين والكالسيوم والفيتامينات، مما يجعله غذاءً متكاملًا ونافعًا.

فسبحان من أنزل هذا الكلام على نبيه الأميّ، وأخبر عن دقائق علمية لم تُعرف إلا بعد مئات السنين، ليكون ذلك آية على صدق الرسالة، ودليلًا على أن هذا القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الفصل الرابع عشر: الإعجاز العلمي في النوم واليقظة

قال الله تعالى:

"وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم" [الأنعام: ٦٠].

وقال سبحانه:

"وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا" [النبأ: ٩-١١].

إن النوم واليقظة من أعظم مظاهر الإعجاز التي تحدث عنها القرآن الكريم، فقد ورد ذكرهما في العديد من الآيات التي تبين كيفية خلق الله لهذه الظاهرة الطبيعية التي يمر بها الإنسان. وقد اكتشف العلماء مؤخرًا العديد من الحقائق التي تتوافق مع ما ذكره القرآن الكريم منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة.

١. النوم كحالة من الاستراحة الجسدية والعقلية: ذكر القرآن الكريم النوم بوصفه "سباتًا"، وهو ما يتوافق مع ما يثبته العلم الحديث عن أن النوم هو مرحلة ضرورية لراحة الجسم والعقل. في هذه الحالة، يدخل الجسم في حالة من الاسترخاء التام، ويُقلل من نشاط الأعضاء الداخلية بما في ذلك القلب، ويستعيد الجسم طاقته.

كما أن النوم يُساعد على معالجة الذكريات وتجديد الخلايا، مما يساهم في تعزيز المناعة والقدرة على الأداء الوظيفي في اليوم التالي.

٢. الفرق بين النوم والوفاة: في الآية الكريمة:

"وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار"، جاء التعبير بـ"التوفي" في هذه الآية، ويعني "أخذ الروح" أو "سلب الحياة" بشكل مؤقت أثناء النوم، وهذا لا يعني الموت الكامل بل هو سكون مؤقت لروح الإنسان. هذا التفسير يتفق مع الدراسات العلمية الحديثة التي أثبتت أن النوم يشبه "الموت المؤقت"، حيث يتوقف العديد من وظائف الجسم، بينما تستمر بعض الأنشطة الحيوية مثل التنفس، مما يجعل الجسم في حالة بين الحياة والموت.

٣. اليقظة كنشاط حيوي: أما في حالة اليقظة، فإن الإنسان يكون نشطًا، وتعمل جميع أجهزة الجسم بكامل طاقتها. وفي القرآن الكريم وصف الله اليقظة في آية:

"ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى"، وهذا يشير إلى أن اليقظة هي لحظة استيقاظ الروح والجسد للعمل في دورة الحياة اليومية.

٤. دورة الليل والنهار: في قوله تعالى:

"وجعلنا الليل لباسًا وجعلنا النهار معاشًا"، إشارة إلى أن الليل يمثل الراحة والغطاء، حيث ينام الإنسان ويستعيد نشاطه، في حين أن النهار يُمثل فترة العمل والكسب. هذه الآية تتطابق مع ما أظهرت الأبحاث العلمية الحديثة عن تأثير التعرض للضوء الطبيعي في النهار على نشاط الجسم وراحته في الليل.

٥. التأثيرات البيولوجية: أظهرت الأبحاث الحديثة أن النوم واليقظة يخضعان لإيقاع الساعة البيولوجية، التي تحدد متى يحتاج الجسم للراحة أو للعمل. هذه الساعة البيولوجية تتأثر بشكل كبير بنمط الضوء والظلام، مما يعزز الفهم العلمي للإعجاز في تقسيم الزمن بين النوم واليقظة.

في الختام، تتبين أن القرآن الكريم قد بيّن تأثيرات النوم واليقظة بطرق علمية دقيقة، مما يجعل هذه الآيات من أبلغ الأمثلة على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ويؤكد أن هذا الكتاب هو من عند الله، الذي أحاط بكل شيء علمًا.

الفصل الخامس عشر: الخاتمة

لقد تناول هذا الكتاب "الإيجاز والبيان في الإعجاز العلمي للقرآن" العديد من الجوانب العلمية الدقيقة التي وردت في آيات القرآن الكريم، والتي أثبت العلم الحديث صحتها وتوافقها مع ما جاء في الكتاب العظيم. وبينما كانت هذه المعارف غير معروفة في زمن نزول القرآن، إلا أن الله سبحانه وتعالى قد أودع فيها كل ما هو علمي دقيق وفائدة للبشرية، ليكون دليلًا على صدق هذا الكتاب المبارك، الذي هو "كتاب هداية"، وليس مجرد كتاب علمي. وقد تم اكتشاف هذه الحقائق العلمية بعد قرون من نزول القرآن، مما يجعل من الكتاب الكريم معجزة خالدة تشهد بعظمة الله وقدرته.

وفي هذه الخاتمة، نود التأكيد على أهمية الإعجاز العلمي في القرآن في فهمنا للكون والخلق. إذ إنه ليس هدفًا للتسلية أو للبحث فقط، بل هو دعوة لتدبر آيات الله والتفكر في عظمته. هذا الكتاب لا يُعدّ مجرد جمع للمعلومات العلمية، بل هو محاولة لتبسيط فهم العلاقة بين الدين والعلم، وكيف يمكن للإيمان أن يكون مرشدًا لفهم العلوم الطبيعية التي تشرح لنا أسرار الكون.

كما أن من الضوابط المهمة عند الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن:

١. التفسير العلمي لا يتناقض مع النصوص القرآنية: يجب التأكد من أن الفهم العلمي الذي نقدمه يتوافق مع ما جاء في الكتاب والسنة، فلا يُفسر النص القرآني بما يتناقض مع دلالاته الأصلية.

٢. التوازن بين العلم والإيمان: يجب ألا ننسى أن القرآن الكريم هو كتاب هداية قبل أن يكون كتابًا علميًا، ولذلك فإن فهمنا للآيات يجب أن يساهم في تعزيز الإيمان بالله وبقدرته.

٣. الابتعاد عن التفسير المبهرج أو الغريب: يجب أن يكون التفسير العلمي للآيات مبنيًا على أسس علمية صحيحة، ويجب أن يكون بعيدًا عن الخرافات أو الآراء التي لا تستند إلى دليل.

٤. الاعتراف بحدود العلم: يجب أن نتذكر أن العلم في تطور مستمر، وقد نكتشف في المستقبل أمورًا جديدة قد تغير فهمنا لبعض الآيات، ولذلك فإن الإعجاز العلمي في القرآن هو عملية مستمرة تواكب التطور العلمي.

وفي الختام، أود أن أذكر أن هذا الكتاب هو "خدمة للمسلمين" في المقام الأول، و**"دعوة للتأمل والتدبر"** في آيات الله. قد يكون فيه من الفائدة

الكثير لكل من يسعى لفهم القرآن الكريم بشكل أعمق، ويريد الاستفادة من العلم الذي أودعه الله في كتابه.

وأخيرًا، لا يسعني إلا أن أشكر الله على توفيقه في إتمام هذا العمل. وأشكر جميع من ساهم في دعمي خلال هذا العمل.

المؤلف:

العبد الفقير إلى ربه الذي يرجو رحمة ربه وعفوه وغفرانه،

الداعية / سمير بن حسن المنة

أسأل الله أن يكون هذا الكتاب خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين في كل مكان، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة.